إقليم توات (ولاية أدرار حاليا) في مشروع فصل الصحراء (1960-1962م)

الأستاذة: أسماء ابلالي

جامعة أدرار

الملخص :

يحظى اقليم توات بموقع استراتيجي هام مكنه من اداء دور حضاري في منطقة الصحراء الجزائرية الكبرى على مر العصور التاريخية، اذ يعتبر حلقة ربط ووصل ما بين شمال البلاد وجنوبها من جهة وما بين شرقها وغربها من جهة اخرى وهو ما جعله عرضة للأطماع الخارجية بدءا من السعديين- الذين بسطوا سيطرتهم عليه خلال القرن السادس عشر الميلادي على عهد الملك (احمد المنصور الذهبي) وانتهاء بالفرنسيين الذين تمكنوا منه مع مطلع القرن العشرين (1900م) وزاد تمسكهم به بعد اكتشافات البترول التي توصلت اليها هيئات التنقيب الفرنسية آنذاك، واشتداد التنافس بين الدول الكبرى للالتحاق بالنادي النووي في اطار الحرب الباردة التي شهدها العالم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وهو ما جعل فرنسا الاستعمارية تبحث عن فضاء واسع لها في مستعمراتها ما وراء البحار ليكون حقلا لتجاربها النووية.

ومن هنا كان الاقليم كغيره من مناطق الصحراء الجزائرية الشاسعة مستهدفا من طرف المشروع الاستعماري الخطير الذي استعملته فرنسا كورقة ضغط على المفاوض الجزائري أثناء المحادثات الفرنسية - الجزائرية والمتمثل في فصل الصحراء عن بقية ارجاء البلاد الجزائرية لتحويلها الى حقل للتجارب النووية ومستودعا للنفايات النووية وفوق ذلك ضمها إلى فرنسا الأم إلى الأبد، وهو ما جعلها تبذل العديد من المساعي الدولية والمحلية لتحقيق ذلك، لكن رفض الشعب الجزائري في هذه الربوع من البلاد وتصميم المفاوض الجزائري على كسب

المعركة حالا دون تحقيق فرنسا الاستعمارية لأهدافها المذكورة وسنحاول في هذه المداخلة ان نتتبع باختصار مقاومة سكان المنطقة للاحتلال الفرنسي ابان الثورة التحريرية الكبرى مع ابراز مكانة الاقليم في مشروع فصل الصحراء عن الجزائر وردود الفعل المحلية من هذا المشروع في الاقليم. فكيف تصدى سكان اقليم توات للاستعمار الفرنسي إبان الثورة التحريرية؟ وما موقع الإقليم من المخطط الفرنسي الرامي إلى تجزئة الجزائر ترابيا؟ وفيم تتمثل أهم اهداف فرنسا من فصل الإقليم عن الجزائر؟ وما هي ابرز ردود الفعل الوطنية في المنطقة من مشروع التقسيم؟ وللإجابة على هذه الاسئلة قمنا بتقسيم المداخلة الى العناصر التالية:

1- موقع اقليم توات فلكيا وجغرافيا.

2- الثورة التحريرية في إقليم توات (1954- 1962).

3- مكانة إقليم توات (ولاية ادرار) في مشروع فصل الصحراء.

4- اهداف فرنسا من فصل الاقليم عن الجزائر.

5- ردود الفعل المحلية من مشروع التقسيم (1960- 1962)

Résumé :

Le secteur de touat a un local extraordinaire et très important. Ce qui lui a donné un role urbain dans la région da la grand Sahara Algérienne, durant les siècle historiques . Il se considère comme une chaine de liaison et d'accord entre le Nord du pays et le Sud de ce donier d'un çôté et entre son Est et l'Ouest de l'autre çôté. C'est ce qui lui a mis face aux buts étrangers, surtout par les « Saâdistes » qui l'ont résidé durant le 16ème siécle sans l'assistance du roi (Ahmed EL-Mansour Dahbi) , finalisé par les Français qui l'ont pris audébut du 20ème siécle (1900). Il l'ont bien attaché après la découvert du Pétrole suivi par la comissionfrançaise . La concurrence a augmenté entre les grands pays pour participer au club nucléaire dans le cadre de la Guerre Froid découverte dans le monde après la fin de la 2ème guerre Mondiale .

Ce qui a forcé la France coloniale à chercher un espace vaste pour elle en ses colonés derrière les mers pour devenir un champs de ses opératins nucléaires.

Pour cela, le secteur était , comme les autres secteurs des régions de la Grande Sahara visé par le projet colonial dangereux utilisé par la France comme une feuille forte sur le négociateur algérien durant les discusions Franco-algeriennes sons le sujet de saisonner le Sahara du reste du pays algérien pour le transformes à un champ des opérations nucléaires et un magazin des déchets nucléaire . En plus il sera ajouté à la France (la mère) à vie.

Elle était obligée d'ajouter ses buts internationaux et peuple algérien en ses régions et l'insistance du du négociateur algérien à obtenir le combat immédiatement sans laisser la France à rèussir ses buts indiqués . On va essayer ici de suivre brièvement le combat des habitants de la région au colonialisme français dés son départ jusqu'au déclenchement de la grande révolution libérale puis , montrer l'importance du secteur au projet de saisonnement saharien de l'Algérie, et des réflexions locales de ce projet sectoriale .

Alors , comment était la reflexion des habitants de secteur Touati envers le colonialisme français ? Quels sont les buts français de saisonner le secteur de l'Algérie en terre ? Quelle sont les différents reflèxions nationales dans la régions envers le projet de la division ? .

أولا – الموقع الفلكي والجغرافي لإقليم توات (ولاية ادرار حاليا):

تقع ولاية ادرار[1] التي اخذت اسمها الحالي بعد الاحتلال الفرنسي لها مع مطلع القرن 20م بين خطي عرض 30/26 شمالاً وجنوبا وبين خطي طول 1 شرقاً إلى 4 غرباً وهذا الموقع يمثل امتداداً طبيعياً لمنخفض تنزروفت نحو الشمال[2]؛ أما جغرافياً فتقع ولاية ادرار التي انبثقت عن التقسيم الإداري الجزائري لسنة 1974م في أقصى جنوب غرب الصحراء الجزائرية يحدها من الشمال ولاية البيض، ومن الشمال الغربي ولاية بشار، ومن الشمال الشرقي ولاية غرداية، ومن الغرب ولاية تندوف ومن الجنوب دولة مالي ومن الجنوب الغربي دولة موريتانيا، ومن الجنوب الشرقي ولاية تمنراست وتبعد أقرب نقطة منها من الجزائر العاصمة بحوالي 1500 كلم. وتتربع ولاية أدرار على مساحة شاسعة تقدر بـ 427,968 كلم مربع[3] أي ما نسبته 18٪ من مجموع مساحة الوطن، وتنقسم الولاية إلى أربعة مناطق اثنوثقافية تشترك في العادات والتقاليد يجمعهم تواجدهم على هضبة تادمايت (شمال عين صالح) الخزان الكبير للمياه الجوفية وهي:

أ – منطقة قورارة: أو(تينجورارين) وتقع شمال إقليم توات يحيط بها العرق الغربي[4] من جهة الشمال والشمال الشرقي ومن الجنوب هضبة تادمايت، ومن

---

1 – ادرار كلمة بربرية تعني الجبل

2 – فرج محمود فرج : إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1977 ، ص 1 .

3 – مدن وثقافة ، أدرار جوهرة الجنوب ، دليل ثقافي ، (د،ط) ، المركز الوطني للمخطوط، دار الثقافة : د،ت ، ص 3 .

4 – **العرق الغربي الكبير**: هو بحر من الرمال مساحته 8000 كلم مربع يحده شمالا الأطلس الصحراوي وشرقا ميزاب ومنطقة القليعة جنوبا هضبة تادمايت وغربا واحات توات ووادي الساورة يبلغ علو العرق 673م لكن كثبانه لا تتجاوز علوها ألـ 120م، ينظر، عاشور شرفي:

الشرق الحوض الشرقي لواد الساورة ويوجد في المنطقة سبخة تينجورارين الممتدة من الشمال إلى الجنوب، وكذلك بعض الأودية الجافة مثل وادي امقيدن(ينبع من المنيعة) ووادي صالح[1]، وتتشكل منطقة قورارة من مجموعة قصور ينتشر أغلبها حول الكثبان الرملية الهائلة على الحدود الجنوبية للعرق الغربي الكبير أهمها: قصور أوقروت، قصور تنركوك، قصور تبلكوزة، قصور تيميمون.

ب – منطقة توات الوسطى أو تسوات: تنحصر ما بين قورارة من ناحية الشمال وتيديكلت[2] من الجنوب الشرقي، وتحتوي توات الوسطى على جملة من القصور تمتد من قصور بودة وتيمي شمالاً إلى رقان جنوباً على مسافة 200 كلم تقريباً أي على طول الجبهة الغربية لهضبة تادمايت، ومن أهم قصور توات الوسطى: قصور بودة قصور تمنطيط، قصور تيمي، قصور فنوغيل، قصور تامست ، قصور أنزجمير، قصور زاوية كنته وقصور رقان[3]

جـ- منطقة تيديكلت : تمتد تيديكلت من مدينة "أولف" إلى مدينة "فقارة الزوا" بدائرة عين صالح شرقاً على مسافة تقدر بـ 150كلم[4] وهي بهذا تقع في الجهة الشرقية لمدينة رقان، أي عند سفح صخري مرتفع من هضبة تادمايت،

معلمة الجزائر القاموس الموسوعي، تر: عبد الكريم اوزغلة وآخرون، (د،ط)، دار القصبة للنشر، الجزائر: 2009، ص 1039.

1- محمد حوتية: توات والازواد خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد) ، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث المعاصر، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ ، 2003-2004م، ص3.

2 - تيديكلت: كلمة بربرية معناها كف اليد او اليد المفتوحة.

3 - محمد حوتية : المرجع السابق ، ص ص (6-7- 8) .

4 - مبارك جعفري : العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12ه/18م، (ط1)، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر: 2009 ، ص 31 .

وتزخر منطقة تيديكلت بمجموعة من الأودية التي تقطعها من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي مثل وادي "جارت" الذي يعتبر من روافد "وادي مسعود"[1]. وتتكون تيديكلت بدورها من مجموعة من القصور مثل قصور اولف – قصور تيط – قصور اقبلي موزعة على سطح منبسط قليل التلال ومركزها مدينة أولف (تيديكلت الغربية) حالياً إلا أن مدينة عين صالح أو(تيديكلت الشرقية) تعتبر العاصمة التاريخية للمنطقة فإليها كان يلجأ توارق الهقار وأهل أدرار وجانت في حالة الخطر، كما كانت الطريق الذي تمر منه القوافل التجارية المتجهة نحو تونس وطرابلس ونقطة تجمع ومعبر للحجيج[2].

د – منطقة تنزروفت: وهي صحراء شاسعة حصوية بيضاء اللون جافة قاحلة تمتد إلى غاية المناطق الخصبة بأهقار وكل طرقها تؤدي إلى بلاد السودان (مالي) . وتكون كل من قورارة وتوات الوسطى وتيديكلت يضاف إليها تنزروفت الحدود الإدارية والرسمية لولاية أدرار حاليا.

من خلال تحديدنا للموقع الفلكي والجغرافي لولاية ادرار وعرضنا لمساحتها يتبين لنا أن للولاية أهمية كبيرة بحكم موقعها الجغرافي الاستراتيجي المتميز وهذا بشهادة الرحالة الذين زاروها والبحاثة الذين تحدثوا عنها، فهي تعتبر همزة وصل بين كل مناطق الجزائر من جهة، ومفترقا للطرق التي تربط الشمال بالجنوب ودول إفريقيا من جهة أخرى، فهي مفتوحة على منطقة الهقار في اتجاه عين صالح إلى ولاية تمنراست وعلى دول غرب إفريقيا من جهة تنزروفت عن طريق برج باجي مختار، وعلى جهة الجنوب الغربي عن طريق واد الساورة في اتجاه بشار، وعلى

1 - عبد الله عباس: التأثيرات الحضارية لمنطقة توات في بلاد السودان الغربي، مذكرة السنة الأولى ماجستير إشراف: موسى لقبال، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1997-1998م، ص 29.

2- التومي سعيدان: سكان تيدكلت القدامى والاتكال على النفس ، (ط1) ، دار هومة ، الجزائر : 2005 ، ص ص (18 – 19)

موريتانيا باتجاه تندوف، وعلى منطقة البيض باتجاه تنركوك وعلى اتجاه الشمال الجزائري عن طريق المنيعة وغرداية، كما كانت في الماضي ممراً للقوافل التجارية العابرة للصحراء في اتجاه الدول الإفريقية حيث يقول "ليون الإفريقي" عن تينجورارين [1]:« ... وهنا مجمع القوافل لان تجار بلاد البربر ينتظرون تجار بلاد السودان ثم يذهبون جميعاً ...»، ومعبراً للحجاج الافارقة أوالمغاربة، فقد مر مثلاً: الموكب الحجي للسلطان "منسا موسى" رابع سلاطين إمبراطورية مالي (712-737هـ/1312م-1337م) بتوات[2]، كما مر بها الرحالة "العياشي" المغربي خلال رحلته إلى الحج عندما مر بقرية تسابيت بقورارة .

ثانيا/ الثورة التحريرية في إقليم توات (1954- 1962) :

لقد عبر سكان إقليم توات عن رفضهم للمحتل الفرنسي منذ أن وطئت أقدامه أرضهم ولعل معارك: أقسطن(الفقيقيرة) 1899/12/28م والدغامشة 1900/01/05م وإينغر1900/01/24م وطلمين1901/05/08م ولمطارفة وشروين 1901/02/28م أكبر دليل على ذلك؛ ونتيجة للسياسة الفرنسية المتبعة في المنطقة (الحكم العسكري) يضاف إليها الوضع الذي آلت إليه جراء الاحتلال من تدهور وتدني الاحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية بدأت تظهر بوادر للنضال السياسي بها خاصة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

ففي سنة 1946م أرسى تمثيل الأحزاب الوطنية بمدينة ادرار وفسح المجال لانخراط مناطق إقليم توات في الحياة السياسية الوطنية حيث تم تشكيل مكتب لحركة (انتصار الحريات الديمقراطية) في ادرار ضم السادة: "بن خدة الحاج عبد

1 - الوزان الفاسي (الحسن بن محمد) المعروف بليون الإفريقي: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، (ج2)، (ط2)، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1983م. ص 133.

2 - أحمد الشكري : الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي (1230- 1430م) ، (ط1)، المجمع الثقافي ، أبوظبي: 1999 ، ص 243.

الله" رئيسا-"بوزيد الشيخ" نائبا- "عبد السلام" مسؤول المال- "الحاج التوهامي" و"قادة العربي بلقاضي" و"قلوم الشيخ" أعضاء المكتب، واتخذ المكتب من دكان "قلوم الشيخ" مقراً له وعمّ تنظيم الحزب القصور والواحات وأنشئ مكتبا آخرا للحزب في تيميمون ترأسه المناضل "علال بيتور" وجند المكتب وراءه قصور قورارة .

كما أوجد "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" (فرحات عباس) تمثيلاً له في قورارة ومدينة ادرار نهض به السيد "أقاسم عبد العزيز" الذي تحول عام 1948م إلى حركة (إ-ح-د)؛ أما "جمعية العلماء" فقد كان لها بدورها حضور وتمثيل في قورارة نهض به السيد "عبد القادر بوحادة" و"مولاي زعرور"[1] بعد وصول دعوتها التي تعارض السياسة الاستعمارية الهادفة إلى التجهيل والتنصير والفرنسة إلى الإقليم، والى جانب هذا برز جملة من المشايخ الذين ساهموا بشكل أو بآخر في بث روح الجهاد والدفاع عن الوطن، وتنوير العقول وتوعية الناس وإعداد جيل الثورة، -وإن لم ينضموا إلى "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"- من امثال الشيخ "محمد بن الكبير" (ت عام 2000م) والشيخ "احمد الطاهري"[2] والشيخ "محمد باي بلعالم" (ت 2009م) رحمهم الله .

---

1 - دحمان تواتي وآخرون: الثورة الجزائرية في أقاليم توات (1956- 1962)، (د،ط)، منشورات مولاي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، د،ت، ص ص (28- 29).

2 - **مولاي أحمد الطاهري السباعي الحسني**: ولد عام 1325هـ بمراكش تلقى تعليمه بمسقط رأسه ثم انتقل سنة 1363هـ إلى توات فنزل أولا في تاوريرت برقان ثم انتقل إلى سالي أين أسّس مدرسته المشهورة بالطاهرية بمساعدة الشرفاء من أولاد السي حمو، فأصبح الطلبة يتوافدون عليها من كل مكان. وقد تخرج على يديه جم غفير من الطلبة، منهم الشيخ محمد باي بلعالم، و الشيخ بالحبيب، الشيخ الرقاني الفقيه وغيرهم، توفي عام 1390هـ/ 1979م وله ذرية بسالي منهم ابنه عبد الله خليفته على المدرسة حاليا من مؤلفاته: الدفاع وقطع النزاع عن شرف أبناء السباع، الأجوبة السباعية عن الأسئلة المراكشية، وعدة قصائد ينظر، محمد باي بلعالم: الرحلة

ولقد شارك مناضلو حركة (إ- ح- د) في انتخابات 1948م أين ألقت الإدارة الفرنسية القبض عليهم واعتقلتهم بما فيهم رئيس المكتب السيد "بن خدة عبد الله" وأعضاء مكتبه، وبعد تزوير الانتخابات رجحت الإدارة الفرنسية كفة مرشحها "سي الخلادي" على حساب مرشح حركة (إ- ح- د) "باقي بوعلام" و"الحاج حمادي أقاسم" ممثل حزب "فرحات عباس"[1] .

وبعد اندلاع الثورة التحريرية نوفمبر 1954م اعتنقها سكان ولاية ادرار، وساهموا فيها بدمائهم وأبنائهم وأموالهم رغم قلة عددهم، وقلة السلاح لديهم آنذاك إلا أن حماسهم الوطني دفعهم إلى الانضمام إلى صفوف الثورة لمناصرة إخوانهم في الشمال من اجل تحرير الوطن، حيث كانت ادرار ضمن المنطقة الثامنة[2] من الولاية الخامسة التاريخية إلى غاية 1957م، ومنذ 1959م أصبحت منتمية إلى المنطقة الثالثة من نفس الولاية؛ ومن الرواد الأوائل الذين أوفدتهم "جبهة التحرير الوطني" لحمل مشعل الثورة إلى المنطقة بعد عقد مؤتمر الصومام أوت 1956م "محمد جغابة" ، "محمد الشريف مساعدية" ، "عبد الله بلهوشات" وغيرهم حيث يروي "محمد جغابة" المكلف من قبل الولاية السادسة بتعميم نظام الثورة بالصحراء: «انه كلف في أواخر 1956م من طرف "سي الحواس" بمهمة استكشاف الجنوب بهدف توسيع رقعة الكفاح، فقام رفقة زملائه بتنصيب اللجان المدنية وتحسيس المواطنين وتجنيدهم فما إن جاءت نهاية 1957م حتى كان التنظيم

العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، (ج1) ، (د،ط) ، دار هومة ، الجزائر : 2005 ، ص ص (355 358) .

1 - دحمان تواتي وآخرون، المرجع السابق ، ص ص (29-30).

2 - **المنطقة الثامنة** من الولاية الخامسة كانت تضم ولايات: النعامة والبيض وبشار وادرار وتندوف ينظر، عبد القادر خليفي: محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة (1830- 1962)، (د،ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2010م، ص 178.

السياسي شمل كل ولايات أقصى الجنوب بحيث أصبح التنظيم الموجود في الشمال موجودا في الجنوب»[1] .

وفعلا فقد قدم "محمد جغابة" إلى تيميمون في سنة 1956م وفي نهاية السنة عقد مناضلو تيميمون القدامى اجتماعا بمنزل السيد"بودواية بودواية" فشكلت اللجنة الخماسية لجبهة التحرير الوطني بتيميمون، وشملت السادة: "عبد العزيز أقاسم" رئيساً و"بودواية بودواية" و"بوحادة عبد القادر" و"بومدين سلكة" و"العامري بشير" أعضاء، وتكفلت اللجنة بالتعبئة وإنشاء الخلايا السرية ومراكز التموين وجمع المؤن للمجاهدين .

وفي منتصف سنة 1956م قام المناضلون بفاتيس وتنركوك بعقد اجتماع حضره كل من: "الهاشمي أحمد"[2]، "نواري نوار"، "قدوري قادة"، "حكومي محمد"... وغيرهم وقرروا الالتحاق بصفوف الثورة في نواحي البيض[3].

ومن أهم المعارك التي جرت بولاية ادرار وكانت مسرحاً لها "معارك العرق الكبير "التي اندلعت مابين 15أكتوبر1957 و1962م نذكر منها على سبيل المثال:

---

1 – عبد السلام بوشارب : الهقار أمجاد وانجاد، (د،ط) ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، رويبة: 1995، ص 131.

2 – **الهاشمي أحمد :** ولد خلال 1930 بتنركوك كان ذا مستوى ثقافي متميز انضم الى جيش و جبهة التحرير بعد تسريحه من المهارية ، قام بتوعية الشعب في تيميمون و حثهم للالتحاق بالثورة ، شارك في اربع معارك و استشهد في 21 – 11 – 1957 في معركة حاسي غنبو بتنركوك، ينظر: السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية والثورة التحريرية الكبرى لولاية ادرار، (د،ط)، جمعية سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، أدرار : د،ت ، ص 57.

3 – دحمان تواتي وآخرون: المرجع السابق ، ص ص (30-31).

– **معركة حاسي صاكة** (على بعد نحو 80 كلم شمال شرقي تيميمون) وكانت أول معارك العرق قادها جماعة المهاري الجزائريين الفارين من صفوف الجيش الفرنسي، من أمثال "الهاشمي أمحمد" و"عيشاوي أحميدة" (بلعقون)، "الزاوي مول الفرعة" و"سليمان الدين"وغيرهم من مهاري حاسي صاكة الجزائريين حيث تمكنوا من الالتحاق بصفوف "جبهة التحرير الوطني" عام 1956م وأعلنوا انتفاضتهم يوم 15 من شهر اكتوبر1957م فكبدوا قوات قائد قوات كتيبة توات المهارية النقيب "جاك صوايي" خسائر فادحة حيث تم القضاء على الجنود المكلفين بالرقابة والتفتيش على حاجز طريق تيميمون واستطاع مهاري حاسي صاكة اقتحام خيمة العقيد وكانت نتيجة المعركة مقتل ثمانية مهاري فرنسيين، واستولى المهاري الجزائريين على مائتين وخمسين جمل وكل الأسلحة والمؤن المادية التي كانت تحتويها الكتيبة المهارية (65 بندقية ومذياع راديو وصناديق المؤن (10 آلاف خرطوشة) وأكثر من 15 منظار) وغادر ثلاثة وستون شخصا المخيم[1].

ولقد احدث نبأ المعركة ضجة وسط هيئة أركان جيش الاحتلال فقامت الشرطة الاستعمارية بممارسة أسلوب القمع حيث شنت حملة قمعية ضد المشتبه في تموينهم الخزائن الخاصة بالمجاهدين، وأصدر الجنرال "دي كرافكار" Dè "Crevecoeur تعليمات للقائد "بيار بوشي" بتتبع المهاري الفارين، فقام هذا الأخير بنشر أكبر قوة جوية في الشمال وشمال غرب وشمال شرق تيميمون في مربع طول ضلعه 200 كلم[2]، كما قام بقتل كل الجمال المتحركة عبر العرق(512 جملا منها 37 جمل تابع لكتيبة المهارية)، وتدمير خمسة آبار لمنع المهارية من التزود بالماء، كما شنت الشرطة السرية الفرنسية حملة اعتقال وتعذيب على أهالي تيميمون وقصورها انتقاما من المتمردين حيث تم قتل اثنين وعشرين شخصاً، وتدمير ستة

1 – السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية والثورة التحريرية الكبرى لولاية أدرار،المرجع السابق. ص 24.

2 – المرجع نفسه، ص ص (25– 26).

بيوت تابعة لمهاري حاسي صاكة مع حرق وتدمير عدة أشجار نخيل تابعة لعائلاتهم[1] .

وعلى الرغم مما ترتب عن هذه المعركة من آثار وخيمة على عائلات المهاري، إلا أنها تعد أول معركة أو مواجهة مابين المناضلين والجيش الفرنسي بعد امتداد الثورة للمنطقة اثبتت للمحتل الفرنسي قدرة الثورة على التعبئة وانتشارها، إذ جاءت في فترة تاريخية هامة من تطور الثورة الجزائرية وانتشارها حسبما جاء في مقررات مؤتمر الصومام (20اوت 1956م) كما كانت رد فعل على مشروع التقسيم الذي قد شرع بموجب قانون 7 أوت 1957م؛ أما على المستوى الداخلي فقد أعطت انتفاضة "حاسي صاكة" نفساً قوياً لأبناء المنطقة للوقوف في وجه الاحتلال والتصدي لمشاريعه الاستعمارية.

– **معركة حاسي تاسلغة**:(شمال تيميمون على بعد 60 كيلو متر): حيث وصل المجاهدون الفارون من غارة الطيران الفرنسي عقب معركة حاسي صاكة إلى "حاسي غنبو" ثم اتجهوا نحو حاسي تاسلغة في نوفمبر 1957م وكان عددهم ستة وسبعين فرداً أين انضم إليهم القائد "فرحات" (بلعيد احمد) رفقة أربعين رجلا[2] فنصبوا كميناً للسيارات الفرنسية القادمة بغرض التنقيب عن البترول والتي كانت تضم (واحدا وأربعين فردا منهم اثنا عشر عاملا جزائريا ترافقهم فرقة أجنبية) فباغتها المجاهدون بهجومين متفرقين الأول قاده "علي حناني" والآخر قاده "سليمان بن عبد الله"[3]، مما أدى إلى مقتل خمسة عناصر من كتيبة الملازم "بلاني" "Palanet" واستسلم عشرة من العاملين في شركة بترول الجزائر قتل منهم سبعة،

1 – دحمان تواتي وآخرون : المرجع السابق ، ص 45.

2 – المرجع نفسه، ص ص (52 ، 54).

3 – السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية والثورة التحريرية الكبرى لولاية ادرار ، المرجع السابق ، ص 29.

وتم حرق ستة سيارات تابعة للشركة البترولية وإتلاف عتادها وغنم المجاهدون الذخيرة والأسلحة وعتاد ومؤن الشركة.

ولقد احدث هذا الكمين صدى إعلاميا في الجرائد الاستعمارية التي وصفت الحدث بعناوين مثل: البترول مهدد، الجنون عند الشركات البترولية،...[1].

وبهذا شعرت فرنسا الاستعمارية بانتشار الثورة في الصحراء الجزائرية وتهديدها لمخططاتها السياسية والعسكرية وضربها لمصالحها الاقتصادية لذا منح الجنرال "راؤول سالان" القائد العام للقوات الاستعمارية بالجزائر الحرية المطلقة للعقيد "بيجار" للقضاء على المهارية بعد أن عجز النقيب "صوايي" في القبض عليهم فوصل "بيجار" مطار تيميمون في 13 نوفمبر 1957م مع قيادة الفيلق الثالث مظلي وأصبح له في منطقة تيميمون 1570 جندي موزعين حول المدينة وكلف ضباطه أمثال النقيب "بيتو" "pètot" والملازم الأول "دوسور" والنقيب "دولينو" بعدة عمليات للكشف عن التنظيم السياسي للثورة بالمدينة[2]، وتتبع المهاري الفارين فعاثوا فسادا في منطقة تيميمون وهتكوا الحرمات، وشنو حملة اعتقالات وتعذيب؛ وفي يوم 20 نوفمبر قامت القوات الفرنسية المشتركة بقتل نحو ستة وتسعين مواطناً من سكان تيميمون واوقروت ودمرت أكثر من سبعمائة نخلة – مصدر رزق السكان- وهدمت البيوت[3].

3- معركة حاسي غنبو 21 نوفمبر1957م :(أكثر من 80 كيلو متر شمال شرق تيميمون**)** حيث اتجه إلى هذا الحاسي أحد أفواج المجاهدين مع "أمحمد الهاشمي" و"فضيل بن شراير"(1927-1957م) الذين كانوا متواجدين في

1 - هزيمة بيجار في ارض الأحرار ، تر : احمد عبد العزيز ، (د،ط) ، مؤسسة الشروق للنشر والإعلام ، د،ت ، ص 16.

2 - هزيمة بيجار في ارض الأحرار، المصدر السابق، ص ص (21، 23 ، 25).

3 - دحمان تواتي وآخرون : المرجع السابق، ص ص(60 - 61 - 62).

"تاسلغة" فتحركت نحوهم الفرقة الثالثة من تبلكوزة يوم 21 نوفمبر بواسطة الطائرات المروحية، وقد أبدى المجاهدون مقاومة كبيرة بشهادة العقيد "بيجار" نفسه[1]، حيث أصيب المظليون بأفدح الخسائر فقد أصيب النقيب الأول "سانتياك" "Sentenac" المتوج بالنصر في الهند الصينية بجروح بليغة، كما سقط الملازم الأول "روهر" "Rohor" مما جعل "بيجار" يبعث الفرقة الرابعة من تيميمون فوصلت جواً إلى "حاسي غنبو"، أين احتدم القتال حتى غروب الشمس وكانت نتيجة المعركة خسائر فادحة في الجيش الفرنسي، وفقد المجاهدون اثنين وثلاثين جنديا من بينهم "أحمد الهاشمي" المحافظ السياسي واسر عشرة منهم تم إعدامهم (الحصيلة اثنان وأربعون شهيدا) من بينهم "بن شراير فضيل" مسؤول القسم، ومساعده "ليتيم الشيخ" (1915- 1957م) وثلاثة رؤساء أفواج، في حين أقام العقيد "بيجار" في حاسي بوخلالة (على بعد 120 كيلو متر شمال غرب تيميمون) شبه محاكمة سريعة تحت خيمة، وواصل استجواب وتعذيب المدنيين الذين جيء بهم من تيميمون ومن العرق القريب وتم قتل كل مدني مشتبه فيه[2].

4- معركة حاسي علي:7ديسمبر1957م (على بعد 100 كيلو متر غرب حاسي بوخلالة وأكثر من 132 كيلو متر غرب تيميمون): كان سببها اكتشاف مكان وحدة جيش التحرير مختبئة في كثيب رملي فاتجه "بيجار" مع قواته من "بوخلالة" إلى "حاسي علي" فأخذت طائرات الاحتلال (T6) في قصف (حاسي علي) فأصيب عدد من المجاهدين، وبعد توقف القتال في المساء كانت حصيلة المعركة استشهاد أربعة عشر مجاهدا واحتجاز اثنين منهم وتراجع إحدى عشر، في

1 - هزيمة بيجار في ارض الأحرار : المصدر السابق ، ص 38.

2 - السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية والثورة التحريرية الكبرى لولاية ادرار ، المرجع السابق ، ص ص (33 ، 35).

حين توجه أعضاء جيش التحرير بقيادة "فرحات" (بلعيد احمد) والناجين من المعركة إلى منطقة الساورة[1] .

وبعد نهاية معارك "حاسي غنبو" و"حاسي علي" انقطع النظام عن مناطق العرق لمدة خمسة عشر شهراً وفي بداية سنة 1959م قررت قيادة المنطقة الثالثة من الولاية الخامسة إعادة إحياء الثورة بالعرق الكبير، وإنشاء الناحية الثالثة في مناطق العرق وتيميمون، وأناطت المهمة إلى "حناني علي" وعدد من المجاهدين وبهذا عمّ النظام الثوري مناطق العرق وتيميمون وأنشئت عدة لجان لجبهة التحرير الوطني في تيميمون كلجنة زاوية الدباغ[2]، كما أقيمت منظمات مدنية على مستوى مناطق الاقليم ساعدت في خدمة المجاهدين كان يشرف عليها بعض العائلات والشخصيات التي عرفت بدعمها السري للثورة وخدمة المجاهدين من أهم مراكزها نذكر: مركز زاوية كنتة "الحاج صديق عبد القادر" – مركز ادغا "حمادي البركة" – مركز انزجمير"الحاج عبد الرحمن"– مركز تمنطيط"عبد القادر ديدي"– مركز رقان "الحاج قدور لقصاصي" مركز أولف "مولاي عبد الرحمن سي الوافي"[3].

ونتيجة لتسهيل عملية التموين واستمرار فتيل الثورة عرفت المنطقة عدة اشتباكات ما بين (1959–1962م) اثبت من خلالها سكان ولاية ادرار صمودهم ومساهمتهم في الحرب التحريرية ورفضهم للاستعمار الفرنسي الغاشم، وقع معظمها قرب البئر(الحاسي)– أين تتجمع نقط الماء– أقلقت هاجس الإدارة الفرنسية وألحقت خسائر بقواتها العسكرية أهمها: معركة قرن القصعة في 17 مارس 1959م شمال حاسي غنبو بقيادة "حناني علي"– اشتباك بلعروق

1 – السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية والثورة التحريرية الكبرى لولاية ادرار، المرجع نفسه، ص37 .

2 – دحمان تواتي وآخرون : المرجع السابق، ص ص (78– 79).

3 – دحمان تواتي وآخرون، المرجع نفسه، ص 87.

مارس1960م- معركة حاسي زيارة جوان 1960م شرق القصعة - معركة حاسي ثلجة الأولى 14 اكتوبر 1960م بقيادة "عيشاوي الشيخ" - اشتباك دماغ العبيد مارس1961م[1]، وغيرها من المعارك التي اثبت المجاهدون من خلالها رفضهم للاستعمار الفرنسي.

وبعد إنشاء "جبهة مالي" في عام 1961م التي ضمت ممثلين عن قيادة هيئة الأركان العامة أمثال السادة: "عبد العزيز بوتفليقة"، "عبد الله بلهوشات"، "محمد الشريف مساعديه"، "دارية احمد"، "عيساني شويشي"، و"بشير نور الدين" عملت على تجنيد وتموين المنطقة وغيرها من مناطق الصحراء الحدودية بالأسلحة والمعدات انطلاقاً من النيجر فأقاموا معسكرا لهم في "غاو" بمالي التي تبعد حوالي 600 كيلو متر عن الحدود الجزائرية[2] وكان هذا عقب تطويق الثورة شرقاً وغرباً بخطي "شال وموريس".

وعلى الرغم من تواجد فرنسا في النيجر ومالي والجزائر إلا أن هذه البعثة استطاعت أن تثبت أقدام جيش التحرير في الصحراء الجزائرية - بما فيها اقليم توات- بما جندته من الشباب المتطوعين وبما أنشأته من مراكز للتدريب والتموين والاتصالات في شمال مالي والنيجر بالقرب من الحدود الجزائرية مثل: مركز القيادة "بقاو" ومركز "كيدال" (على بعد 480 كيلو متر من قاو) ومركز "تاسليت" (على بعد 35 كيلو متر من برج باجي مختار) ومركز "تمبكتو"...الخ[3].

1 - السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية والثورة التحريرية الكبرى لولاية ادرار ، المرجع السابق ، ص39 .

2 - عبد السلام بوشارب: المرجع السابق، ص ص (132- 133) .

3 - دحمان تواتي وآخرون : المرجع السابق، ص ص (84- 85) .

فكلها لعبت دوراً كبيراً في نشر وتعميم الثورة في إقليم توات وتمنراست، كما ساهم فتح هذه الجبهة من جهة أخرى على مواجهة المخططات الاستعمارية الرامية إلى فصل الصحراء عن الجزائر .

ثالثا- مكانة إقليم توات في مشروع فصل الصحراء عن الجزائر:

برزت أهمية الصحراء الجزائرية الاستراتيجية بعد اكتشاف الغاز الطبيعي في "جبل برغة" قرب مدينة عين صالح سنة 1954م مما جعل فرنسا تتمسك بفصل الصحراء عن الجزائر بما فيها إقليم توات، وربطها بباريس مباشرة خاصة بعدما تأكد لها ما تزخر به الصحراء من ثروات بترولية ومعدنية، فقد قدر احتياطي الصحراء الشرقية بأكثر من خمسمائة مليون طن وبناحية حاسي مسعود وادرار وعين صالح ما يزيد عن المليار من الأطنان[1]، مما هو كفيل بسد احتياجات فرنسا من النفط وزيادة، لذا أعلن الجنرال "ديغول" رئيس فرنسا آنذاك في خطاب تقرير المصير في 16 سبتمبر 1959م "أن فرنسا ستحتفظ بالإشراف على الصحراء إذا فضل الجزائريون الانفصال"[2]. كما عبر الكثير من الساسة الفرنسيين عن تمسكهم بالصحراء الجزائرية اذا ما استحال عليهم حل القضية الجزائرية.

ونظرا لموقع اقليم توات الاستراتيجي اذ يقع في اقصى جنوب غرب الجزائر وتربعه على مساحة معتبرة من التراب الوطني اعطته فرنسا عناية خاصة ليكون حقلا لتجاربها النووية عندما وقع اختيارها على منطقة رقان التي تبعد عن مدينة ادرار بمائة كيلومتر كموقع مناسب لتجسيد مشروعها النووي في وقت أصبح فيه عنصر القوة متوقف على امتلاك السلاح الاستراتيجي(النووي) الذي عرفته العلاقات الدولية من خلال توازن الرعب الواقع بين العملاقين الأمريكي والسوفيتي، لذا شرعت في تنفيذ مشاريعها النووية حتى لا تقصى إلى الأبد من

1 - عبد السلام بوشارب : المرجع السابق، ص 140 .

2 - عبد السلام بوشارب، المرجع نفسه، ص ص (141- 142).

نادي الأقوياء ولإظهار عظمة وقوة الدولة الفرنسية وجيشها المنهزم عسكرياً في أوروبا وفي الهند الصينية والجزائر[1] وبهذا أقامت فرنسا قاعدة نووية بالإقليم هي: **قاعدة رقان** حيث اختارت منطقة (الحمودية) التي تبعد عن رقان بـ 65 كيلو متر كقاعدة أساسية لمراقبة التجارب النووية عام 1957م أوكلت مهمة بناء منشآتها الرئيسية إلى الفرقة الثانية التابعة للجيش الفرنسي وكانت تضم 10 الآف عامل من بينهم 3500 جزائري جيء بمعظمهم من مراكز الاعتقال أو من المناطق السكنية القريبة حيث شغلوا في أعمال السخرة، وسميت هذه القاعدة "بالمركز الصحراوي للتجارب النووية العسكرية" "GSEN" centre saharien des (Le Essaies Nucléaires) وقسمتها إلى قسمين المصالح التقنية والإدارية والمطار العسكري برقان[2].

وبعد أن أتمت فرنسا صنع أول قنبلة نووية لها في مختبرات ومصانع برويار لوشاتل "Berruyers le chatel" نقلت إلى قاعدة رقان لتفجيرها وتم ذلك في منطقة "الحمودية" يوم 13 فبراير 1960م وحملت هذه القنبلة اسم اليربوع الأزرق "Gerboise Bleue"[3] تم تفجيرها بحضور ضباط عسكريين ورجال سامين في الحكومة الفرنسية يتقدمهم وزير الدفاع الفرنسي انذاك "بيار مسمر"

1 – محمد الأمين بلغيث : تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق ، (ط3) ، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر : 2009 ، ص 242.

2 – دحمان تواتي وآخرون : المرجع السابق ، ص 107

3 – **اليربوع الأزرق**: هو حيوان يعيش في الصحراء والألوان الثلاثة (ازرق، احمر، ابيض) التي سمت فرنسا القنابل التي فجرتها برقان ترمز إلى علم فرنسا ينظر، عمار منصوري: (الطاقة النووية بين المخاطر والاستعمالات السلمية) ، التجارب النووية الفرنسية في الجزائر دراسة وبحوث وشهادات : المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، (د،ط) ، دار هومة، الجزائر : 2010 ، ص 42.

(pierre messmer) في ظل تعتيم إعلامي غربي وفرنسي كامل حول الظروف وسير التجربة وأخطارها على الانسان والحيوان.

ولقد بارك الجنرال "ديغول" من باريس الحدث الذي اعتبره انجازاً كبيراً لفرنسا يضمن لها الأمن ويفتح لها المزيد من التقدم العسكري النووي، ويفك عقدة النقص التي لازمتها إلى غاية تلك اللحظة، غير مراعيا تأثيراتها على الإنسان والحيوان، إذ كانت طاقتها التفجيرية تساوي (70 كيلو طن) أي أكثر بثلاث مرات من قنبلة "هيروشيما" (Hiroshima) اليابانية[1] قامت خلالها بإحضار عينات من مختلف الحيوانات من الجمال والدواب والماعز والكلاب والأرانب والقطط وستمائة فأر مخابر، وبعض الزواحف والحشرات والطيور والنباتات والماء والأغذية، ولم تكتف بهذا الصنف من العينات فحسب بل فقدت إنسانيتها فاستعملت مائة وخمسين سجيناً والنساء الحوامل والصبيان والشيوخ – كفئران تجربة- واستعملت كذلك أجهزة خاصة لدراسة مفعول التفجير النووي والإشعاعات الناتجة عنه على الكائنات الحية والنباتات[2].

وعلى الرغم من الآثار السلبية للتفجير والتي لا تُخفى على فرنسا ومعارضة الرأي العام العالمي إلا ان فرنسا واصلت تجاربها في المنطقة حيث تلت التجربة الأولى تجارب أخرى في المنطقة وكذلك في منطقة الهقار فكانت التجربة الثانية في رقان يوم 1 ابريل 1960م تحت اسم اليربوع الأبيض" Gerboise "Blanche" والثالثة في 27 ديسمبر 1960م تحت اسم اليربوع الاحمر "Gerboise rouge"، اما التجربة الرابعة فتمت على عجل يوم 25 افريل 1961م تحت اسم اليربوع الاخضر "Gerboise Verte" استعمل فيها 195

1 – دحمان تواتي وآخرون: المرجع السابق، ص (108، 110).

2– عمار منصوري: (الطاقة النووية بين المخاطر والاستعمالات السلمية)، المرجع السابق، ص 42 ، ص41

جندي فرنسي في سرية تامة وبدون علمهم كحيوانات مخابر من طرف المتطفلين على الذرة. وبالجملة فان الطاقة التفجيرية الاجمالية للتجارب النووية الفرنسية بموقع رقان قدرت بـ130 كيلوطن[1].

ونظرا لأهمية رقان بالنسبة لفرنسا (كموقع للتجارب النووية) خاصة والصحراء بصفة عامة سعت سياسية "ديغول" إبان المفاوضات على الاحتفاظ بالصحراء الجزائرية مهما كلف الأمر، وهو ما سبب في تعثر المفاوضات الجزائرية الفرنسية قبل "ايفيان 1962م"حيث أعرب "ديغول" عن ذلك في مذكراته عند ما قال:«... ولكي نحافظ على أوضاع آبار البترول الذي استخرجناه وقواعد تجارب قنابلنا وصواريخنا فبوسعنا أن نبقى في الصحراء مهما حصل، ولو اقتضى الأمر أن نعلن استقلال هذا الفرع الشاسع »[2] فكلف مستشاره "اوليفييه قيشار" Olivier" "Guichard بملف الصحراء فزارها هذا الأخير والتقى بعدة شخصيات جزائرية صحراوية التي كان لها نفوذ في الأوساط الشعبية لأخذ رأيها في شأن استقلال الصحراء في إطار جمهورية مستقلة.

كما كلفت السلطات الاستعمارية "حمزة بوبكر"[3]، وغيره من الشخصيات الفرنسية السياسية والعسكرية بالحصول على تأييد الشخصيات المحلية حول مشاريعها في فصل الصحراء، وإقامة الجمهورية الصحراوية التي تضم ولايتي

---

1 – عمار منصوري: المرجع نفسه، ص ص (42– 43).

2 – الهادي درواز : الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع (1954– 1962)، (د،ط)، دار هومة الجزائر: 2009م، ص132.

3 – **حمزة بوبكر** : نائب الواحات شخصية علمية ودينية كبيرة كان مواليا للسياسة الاستعمارية حول مشاريعها في فصل الصحراء وضع نفسه في خدمة المصالح الاستعمارية منذ 1959 استعمل العنف والاستعانة بالبوليس لإرغام الأعيان للوقوف معه في مشروع فرنسا الاستعماري الذي وعدته بان يكون رئيسه، ينظر محمد الأمين بلغيث : المرجع السابق ، ص 224.

الواحات والساورة وعلى الرغم من فشل "قيشار" في مسعاه هذا بقيت فرنسا بمنطقة رقان الى غاية 1967م في إطار اتفاقية ايفيان.

رابعا/ اهداف فرنسا من فصل الاقليم عن الجزائر:

من خلال توضيحنا لمكانة اقليم توات في مشروع فصل الصحراء عن الجزائر يمكن استنتاج اهم الاهداف التي كانت فرنسا الاستعمارية تسعى الى تحقيقها من خلال حرصها البالغ على الاحتفاظ بالإقليم بصفة خاصة والصحراء الجزائرية بصفة عامة ويمكن تصنيفها كالتالي:

ا- العسكرية: 1- تحويل الاقليم الى حقل للتجارب النووية في وقت اصبح فيه عنصر القوة يعتمد اساسا على انتاج افتك الاسلحة دمارا وبالتالي التأثير على الكفاح الجزائري، ففرنسا اختارت اقليم توات لتفجير القنبلة الذرية وما سيتلوها من تفجيرات أخرى، ومقصودها الأول من ذلك هو التأثير المباشر على الكفاح الجزائري وعلى الثورة الجزائرية[1] التي حققت الى غاية ذلك التاريخ انتصارات كبيرة سواء على الصعيد الداخلي او على الصعيد الخارجي.

2- رفع معنويات جيشها المنحطة اثر انهزاماته المتكررة في الفيتنام وفي الجزائر، وكذا الرفع من معنويات شعبها الذي هزته انتصارات الثورة ودبلوماسيتها الخارجية فكان على ديغول مواجهة العسكريين الذين ارادوا ان يزيحوه من الحكم، كما كان عليه ان يواجه الرأي العام العالمي الذي كان يرى انه انتهج سياسة متناقضة ازاء القضية الجزائرية اذ انه من غير المعقول ان يتفاوض مع

1 -أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ، (ج3)، د،ط، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1982، ص ص(503- 504).

الجزائريين ويحاربهم في آن واحد[1]. فوجد في الصحراء الجزائرية وبالأخص اقليم توات خير قاعدة لترسانة فرنسا النووية نظرا لعزلتها.

3- محاولة ربط مستعمراتها الافريقية ما وراء الصحراء الكبرى ببعضها البعض، فالإقليم كان مطلا وبشكل مباشر على مالي وموريتانيا.

ب- الهدف السياسي: محاولة الضغط على المفاوض الجزائري وإقناع العالم بحتمية "فرنسة الصحراء" بما فيها إقليم توات.

جـ- الهدف الاقتصادي/ استغلال ثروات الاقليم مستقبلا بعدما تبين لها اثر عمليات البحث والتنقيب توفره على مخزون هام من الغاز الطبيعي.

خامسا/ ردود الفعل المحلية من مشروع التقسيم (1960- 1962).

نظرا لأهمية رقان بالنسبة لفرنسا (كموقع للتجارب النووية) خاصة، والصحراء بصفة عامة سعت سياسية "ديغول" إبان المفاوضات إلى فصل الصحراء عن الجزائر، وهو ما سبب في تعثر المفاوضات الجزائرية الفرنسية قبل "ايفيان 1962م" ومن اجل تحقيق ذلك قامت فرنسا بإنشاء شبكات الدعاية والجوسسة والحرب النفسية ضد سكان الصحراء في اطار مشروع فصل الصحراء عن الشمال فكان ان كلف "ديغول" مستشاره "اوليفييه قيشار" "Olivier Guichard" بملف الصحراء فزارها هذا الأخير والتقى بعدة شخصيات جزائرية صحراوية التي كان لها نفوذ في الأوساط الشعبية لأخذ رأيها في شأن استقلال الصحراء في إطار جمهورية مستقلة .

---

1 - مصلحة الدراسات في المركز: التفجيرات النووية الفرنسية في الجزائر وآثارها الباقية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954 سلسلة الندوات، التجارب النووية الفرنسية في الجزائر، دراسات وبحوث وشهادات، الجزائر، دارهومة، د،ط ، ص16.

كما كلفت السلطات الاستعمارية "حمزة بوبكر"، وغيره من الشخصيات الفرنسية السياسية والعسكرية بالحصول على تأييد الشخصيات المحلية حول مشاريعها في فصل الصحراء، وإقامة الجمهورية الصحراوية التي تضم ولايتي الواحات والساورة، إلا أن محاولاته باءت بالفشل لتفطن بعض أعيان الصحراء بمغريات ونوايا فرنسا.

فقد رفض "الشيخ بيوض" (1899- 1981م) المشروع من أساسه كما رفض اقتراح "اوليفييه قيشار" في تكوين مملكة ميزابية سنة 1960م عندما أجابه قائلا: « أن منطقة ميزاب جزء لا يتجزأ من التراب الجزائري »[1]، كما فشل من جهته "ميشال دوبري" في إقناع توارق تمنراست سنة 1960م بالانفصال حيث عرض على "الباي الحاج اخموخ"(ت1975م) تنصيبه سلطاناً على كل التوراق في دولة إسلامية تضم كل الجنوب الجزائري فرفض بقوله: « أنا جزائري ينالني ما ينال باقي الجزائريين »[2].

ومن أعيان إقليم توات الذين حاولت فرنسا إقناعهم بفكرة الانفصال وإغرائهم بالسلطة الشيخ "احمد الطاهري" حيث كلفت سلطات الاحتلال بهذه المهمة "محمد محمود بن الشيخ" قاضي تمبكتو صاحب أزواد الذي كان يتنقل ما بين السنغال ومالي والجزائر وفرنسا لاستمالة الزعماء المحليين فتبعه الكثير من أهل تمبكتو وأزود والطوارق الذين وقعوا له وثيقة انفصال الصحراء عن الجزائر والمغرب الأقصى ومالي، وعندما وصل توات اتجه إلى الشيخ "الطاهري" لما له من نفوذ وكلمة في المنطقة فقدم عليه هو وحاكم رقان وعرضا عليه خطة فصل الصحراء عن الجزائر وطلبا منه الانضمام لهما لإقناع أهل الحل والعقد في توات، إلا أن الشيخ "الطاهري" اعتذر له لما أدرك من خطورة ذلك، وبعد زجره اضطر إلى

1 – محمد الأمين بلغيث : المرجع السابق ، ص 224 .
2 – الهادي درواز: المرجع السابق، ص 133 .

الذهاب رفقتهم إلا انه كان يُعرف بالخطة في الظاهر وفي حضرتهم وفي الباطن وغيابهم كان يحذر الناس من "محمد محمود" جاسوس فرنسا[1]؛ ولما أدرك الفرنسيون ما كان يقوم به شنوا حملة تفتيش على داره ومدرسته وكتبه ومسكن طلبته فلما اكتشفوا صلته بالثورة والجبهة والجنود المجاهدين الذين كان يجمع لهم المال القوا عليه القبض وأخذوه إلى مركز رقان أين تلقى أنواع الاهانة من الحاكم الفرنسي، وكان الشيخ "الطاهري" يتأهب في تلك الأيام إلى الذهاب إلى الحج فذهب فرارا من بطشهم وإهانتهم[2].

وبهذا استطاع "الطاهري" أن يُخلِص نفسه من مؤامرة لا تحمد عقباها بعد أن أشار على سكان توات خطورة التقسيم على مستقبل الجزائر، والصحراء إذا كان في صالح الاستعمار.

ولم تكتف فرنسا باستمالة العناصر المحلية ذات النفوذ فحسب، بل حاولت جعل مشكل الصحراء مشكلاً دولياً حيث اعتبرتها بحراً داخلياً مشتركاً بين العديد من الشعوب الساحلية، والجزائر واحدة من تلك الشعوب وعليه لا يمكن الفصل في هذا الملف إلا بالعودة إلى استشارة جميع الدول المعنية والمطلة عليه حسب رأي "جورج بومبيدو"[3]رئيس الوفد الفرنسي في رده على سؤال السيد "الطيب بولحروف" عن عدم عرضهم للصحراء في لقاء "لوسارن" بسويسرا .

ومن جهتها قامت "الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية" بالتصدي للمناورات الفرنسية فكثفت اتصالاتها على المستوى الدبلوماسي لشرح المسألة ووجهت رسائل تحذيرية للشركات البترولية، وسجلت حضورها في المؤتمر

1 -احمد الطاهري: نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، تحقيق وتعليق: عبد الله الطاهري، (د،ط)، د،ن : 2010م. ص (54- 55).

2 - المصدر نفسه، ص ص (55- 56- 57).

3 - عبد القادر خليفي: المرجع السابق ، ص236.

العالمي للبترول لتؤكد للعالم أن الصحراء منطقة جزائرية محتلة[1]، وبذلت مساعي لكسب الأفارقة إلى جانبها من خلال تكثيفها لزيارة الدول الإفريقية جنوبي الصحراء التي سجلت تجاوباً مع القضية، حيث أعلن الرئيس المالي انذاك "موديبو كيتا" في 22 أوت 1961م «أن مالي تقف ضد مختلف المشاريع المشبوهة المرتبطة بالصحراء» كما أدلى الرئيس السنغالي "سنغور" منتصف يوليو1961م بتصريح أكد فيه أن حدود البلد المستعمر هي حدوده بعد الاستقلال[2] كما ساندتها في ذلك دول غينيا وإثيوبيا وغانا وأوغندا خاصة عندما قامت فرنسا بالتفجيرات النووية في الصحراء الجزائرية .

وعلى المستوى الداخلي أعلنت "الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية" أن يوم 5 جويلية 1961م يوما وطنياً ضد سياسة التقسيم، وأعلنت الإضراب العام والشامل الذي كان ناجحاً عبر كامل التراب الوطني باعتراف الصحافة الفرنسية والدولية[3]، أما على المستوى الدولي وقف الوطن العربي مع الجزائر دفاعاً عن وحدتها الوطنية والترابية .

وأمام هذه الضغوطات الداخلية والخارجية لم يكن من "ديغول" إلا الاستسلام للأمر الواقع حيث صرح في 5 سبتمبر1961م بان الصحراء جزء لا يتجزأ من التراب الجزائري، وانه ليس لفرنسا عليها أي سيطرة مع الاحتفاظ بمصالح فرنسا فيها كحرية استغلال المحروقات واستعمال المطارات، وبهذا أزال "ديغول" الحاجز الكبير الذي كان يعترض سير المفاوضات على حد تعبير الأستاذ "عبد القادر خليفي"[4]، حيث طالبت فرنسا في اتفاقيات "ايفيان الأخيرة مارس

1 – دحمان تواتي وآخرون: المرجع السابق ، ص117.

2 – محمد عباس : نصر بلا ثمن ، الثورة الجزائرية (1954–1962) ، (د،ط) ، دار القصبة للنشر ، الجزائر : 2009 ، ص768.

3 – الهادي درواز : المرجع السابق ، ص136 .

4 – عبد القادر خليفي: المرجع السابق، ص243 .

1962م" أن توضع تحت تصرفها مطارات وقواعد بشار ورقان لمدة خمس سنوات على أن لا تستخدم لأغراض هجومية[1].

وعلى كل فانه على الرغم من أن قضية الصحراء أطالت من عمر المفاوضات الجزائرية – الفرنسية، بل ومن عمر الثورة التحريرية إلا أن الجبهة استطاعت أن تحصل على تنازلات اكبر من فرنسا باسترجاعها للسيادة الوطنية وتحقيق الوحدة الترابية، أما فيما يتعلق ببقاء فرنسا في القواعد العسكرية فقد تم الجلاء منها بعد الاستقلال في إطار سياسية التأميم واسترجاع الثروات والشركات الوطنية.

الخلاصة:

من خلال عرضنا لمكانة اقليم توات في مشروع فصل الصحراء عن الجزائر خلصنا الى جملة من الاستنتاجات اهمها:

1- إن الموقع الجغرافي الاستراتيجي لإقليم توات كان سببا في حرص فرنسا الزائد عليه واختياره موقعا لتجاربها النووية خلال الثورة التحريرية لإظهار عظمة فرنسا المنهزمة في الحرب العالمية الثانية وفي الهند الصينية من جهة وللتأثير على المفاوض الجزائري والثورة الجزائرية من جهة اخرى.

2- ساهم سكان إقليم توات الى جانب اخوانهم في شمال الجزائر في الثورة التحريرية التي احتضنوها وعبروا من خلالها عن رفضهم للاحتلال الغاشم بشنهم لمعارك العرق الكبير (كانتفاضة حاسي صاكة اكتوبر 1957م ومعركتي حاسي تاسلغة وحاسي غنبو نوفمبر 1957م) التي كبدوا فيها قوات العقيد "بيجار" خسائر فادحة فضربوا بهذا مثالاً للشجاعة والتضحية في سبيل حرية

1 – عبد القادر خليفي: المرجع نفسه، ص246

الوطن مما جعل فرنسا تصب جام غضبها عليهم بتحويل المنطقة إلى حقل للتجارب النووية .

3- ان اهم الخطوات التي اتخذتها فرنسا لتحقيق مشروع فصل الصحراء عن الجزائر بما فيها اقليم توات هي اغراء الشخصيات والزعامات المحلية في المنطقة بالمناصب والألقاب كما فعلت مع الشيخ "احمد الطاهري" إلا أن محاولاتها باءت بالفشل بعدما تأكد لهذه الشخصيات سوء نوايا فرنسا الاستعمارية من تقسيم التراب الجزائري.

4- ساهم موقف الشيخ "الطاهري" وغيره من الزعامات المحلية الوطنية المخلصة التي رفضت مشروع فصل الصحراء عن الجزائر في تمهيد الطريق للمفاوض الجزائري لدخول مفاوضات إيفيان من موقع قوة اذ توجت بمنح الجزائر استقلالها مع الاعتراف بوحدتها الترابية فكان هذا اكبر مكسب حققه المفاوض الجزائري في معركته السياسية مع المفاوض الفرنسي.

الملاحق.

خريطة إدارية للجزائر تبين موقع وحدود ولاية ادرار

صورة الشيخ أحمد الطاهري الادريسي

صورة للقاعدة العسكرية برقان(منطقة الحمودية)

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

1- بلعالم(محمد باي): الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات ، (ج1) ، (د،ط) ، دار هومة ، الجزائر : 2005 م.

2- سعيدان (التومي): سكان تيدكلت القدامى والاتكال على النفس ، (ط1) ، دار هومة ، الجزائر : 2005 م.

3- المدني (احمد توفيق): حياة كفاح ، (ج3)، مع ركب الثورة التحريرية ، د،ط، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1982، ص ص(503- 504).

4- الطاهري(احمد): نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، تحقيق وتعليق: عبد الله الطاهري، (د،ط)، د،ن، د،م،ن: 2010م.

5- هزيمة بيجار في ارض الأحرار ، تر : احمد عبد العزيز ، (د،ط) ، مؤسسة الشروق للنشر والإعلام ، د،ت .

6- الوزان الفاسي (الحسن بن محمد) المعروف بليون الإفريقي: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، (ج2)، (ط2)، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1983م.

7- بلغيث(محمد الامين) : تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق ، (ط3) ، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر : ,2009

8- بوشارب (عبد السلام): الهقار أمجاد وانجاد، (د،ط) ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، رويبة: 1995م.

9- تواتي (دحمان وآخرون) : الثورة الجزائرية في أقاليم توات (1956- 1962)، (د،ط)، منشورات مولاي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، د،ت.

10- جعفري (مبارك) : العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، (ط1)، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر: ,2009

11- خليفي(عبد القادر): محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة (1830- 1962)، (د،ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2010م.

12- درواز (الهادي) : الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع (1954- 1962)، (د،ط)، دار هومة الجزائر: 2009م.

13- السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية والثورة التحريرية الكبرى لولاية ادرار، (د،ط)، جمعية سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، أدرار : د،ت.

14- الشكري(احمد) : الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي (1230- 1430م) ، (ط1) ، المجمع الثقافي ، أبوظبي : 1999 ، ص ,243

15- شرفي (عاشور) : معلمة الجزائر القاموس الموسوعي ، تر:عبد الكريم اوزغلة وآخرون، (د،ط)، دار القصبة للنشر، الجزائر: 2009 م.

16- عباس (محمد) : نصر بلا ثمن ، الثورة الجزائرية (1954-1962) ، (د،ط) ، دار القصبة للنشر ، الجزائر : 2009 م.

17- فرج (محمود فرج) : إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، (د،ط) ، معهد العلوم الاجتماعية، الجزائر: 1977م.

18- مدن وثقافة ، أدرار جوهرة الجنوب ، دليل ثقافي ، (د،ط) ، المركز الوطني للمخطوط، دار الثقافة : د،ت.

19- عبد الله عباس : التأثيرات الحضارية لمنطقة توات في بلاد السودان الغربي، مذكرة السنة الأولى ماجستير إشراف: موسى لقبال، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1997- 1998م .

20- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، (د،ط) ، دار هومة، الجزائر : 2010م.

21- حوتية (محمد) : توات والازواد خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد) ، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث المعاصر، إشراف : ناصر الدين سعيدوني، جامعة وهران ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ ، 2004/2003م.